الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

الملتقى الوطني: أنثروبولوجيا الأديان ودراسة ثقافة المجتمع الجزائري

الاسم: اللقب :	نسيمة زقاق
الرتبة : التخصص:	طالبة دكتوراه عقيدة إسلامية
الجامعة :	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
الإيميل	n.zekak@univ-emir.dz

عنوان المداخلة	قراءة لواقع الممارسات التعبدية الدينية للمجتمع الجزائري في فكر الشيخ البشير الإبراهيمي – رؤية أنثروبولوجيا –

محور المداخلة : : دور أنثروبولوجيا الأديان في إبراز القيم الروحية والسلوكية.

الملخص :

شغلت الممارسات الدينية والتعبدية فكر علماء الأنثروبولوجيا، باعتبارها أحد الحقول المعرفية التي تهتم بالدين، فهي تخضع الطقوس والسلوكيات للدراسة والتحليل فإنها أيضا قد كانت مجالا للتقييم والإصلاح عند العلماء ورجال الإصلاح قديما وحديثا ، ونحن بوقوفنا في هذه الدراسة على الممارسات الدينية في المجتمع الجزائري ،نحاول أن نكشف عن رؤية الشيخ البشير الإبراهيمي، كواحد من الذين تتبعوا واقع هذه المظاهر في ظل التحولات المجتمعية والسياسية والثقافية التي عرفتها الجزائر، محاولة فهم ودراسة القيم الأخلاقية والمفاهيم الدينية، التي رسخها الإسلام كخطوة أولى

لقراءة واقع المجتمع الجزائري، وكان الشيخ البشير الإبراهيمي من بين العلماء الذين تجندوا للحفاظ على معالم هوية الأمة، ودعوا المجتمع إلى التمسك بالدين واللسان العربي ومكارم الأخلاق، مركزا تقييمه على الشعائر الدينية التعبدية من صوم وحج وأعياد دينية ، وهو الفقيه والرقيب على هوية وعقيدة الأمة الجزائرية المسلمة ، وهذا ما سنحاول بحثه والكشف عنه هذا من خلال عرض تجربة الشيخ البشير الإبراهيمي في تشخيص واقع المجتمع الجزائري وكيف تمثله ؟ ومن خلال هذه الإشكالية نجيب على

جملة من التساؤلات الفرعية :

- ماهي أهم الوسائط والأساليب التي ركز عليها الشيخ البشير الإبراهيمي من أجل المحافظة على ثوابت الأمة ؟

-ماهي أبرز القيم الدينية المميزة للمجتمع الجزائري وواقع بعض الممارسات الدينية في فترة الاستعمار؟

-كيف حاول الشيخ البشير الإبراهيمي تقديم إطار لتلك للمعتقدات والقيم الأخلاقية وإعادة تفعيلها في المجتمع ؟

- التوجيهات التي قدمها الشيخ البشير الإبراهيمي، من أجل الرجوع للسلوك الصحيح في أداء بعض الممارسات الدينية بغية إبقائها كدعائم للهوية الجزائرية العربية الإسلامية ؟

الكلمات المفتاحية : الممارسات الدينية، البشير الإبراهيمي، أنثروبولوجيا ،

Abstract

Religious and devotional practices have occupied the anthropologists' thoughts as a field of knowledge which is mainly concerned with religion and its practices. These religious practices have also been subjected to evaluation and reform by scholars and reformers then and now. Based on these religious practices in the Algerian society, this study endeavors at revealing Cheikh Bashir El-Ibrahim's perspective as one of those who analyzed these phenomena amidst the societal, political, and cultural transformations in Algeria as an attempt to understand and analyze the ethical values and religious concepts established by Islam as a preliminary step in understanding the reality of the Algerian society. Moreover,

Cheikh Bashir El-Ibrahimi was among the scholars who dedicated themselves to maintaining the nation's identity, calling for adherence to religion, Arabic language, and moral virtues. His evaluation was centered on the religious and devotional practices, including fasting, pilgrimage, and religious holidays, as he was regarded as the scholar and overseer of the identity and beliefs of the Muslim Algerian nation. Accordingly, this paper aims at exploring Cheikh Bashir El-Ibrahimi's experience in diagnosing the reality of the Algerian society and how it was represented?

Keywords: Cheikh Bashir El-Ibrahimi; Religious Practices; Thought; Anthropology.

مقدمة:

إن ارتباط الإنسان بمجتمعه وبالظروف المحيطة به ، تعمل على إبراز أفكاره وتوجيه تفكيره وتطوير آلياته، هذا ما يمكن لنا تسجيله على توجه جمعية العلماء المسلمين ورجالها المصلحين ،الذين عملوا على حفظ الشخصية الجزائر العربية المسلمة، انطلاقا مما عايشوه من تحديات في هذا المجال وتصدوا لمختلف الأفكار التي تزاحم الإسلام في أرضه ، من تنصير وإلحاد وأنواع الشرك ، وقد ارتكز منهجهم على فهم السلوكيات والممارسات الدينية ، التي ترسخت في للمجتمع الجزائري كخطوة أولى للمباشرة في معالجة مشاكله، كونهم يمثلون عامل الرقابة على المجتمع وكل ما يتعلق بحياته اليومية، وكان الشيخ البشير الإبراهيمي من بين الرجال الذين عرفوا على المستوى الدولي والوطني، كعلم من أعلام الإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي، ومن الدعاة لتبصير المجتمع بضرورة التغير على مستوى السلوك والأفكار.

يهمنا في هذا البحث قراءته لواقع المجتمع الجزائري، و دراسته لبعض القيم الأخلاقية وممارساته الدينية في ضل تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر، بغية توجيه السلوك الاجتماعي وتدعيم التنوع الثقافي كرافد من روافد الثقافة الأصيلة للمجتمع، التي يجب إبرازها من أجل المحافظة عليها، وهو ما تمثله في العديد من الوقفات ضمن آثاره ، سنحاول أن نسلط الضوء في هذه الورقة البحثية وبمنهج استقرائي لبعض ما جاء في آثاره، كواحد من المفكرين الذين ظهرت مؤلفاتهم في سياق الكتابات التاريخي الجزائرية بصيغة أدبية رفيعة، تناول فيها بتفصيل دقيق الأوضاع الدينية والبنية الاجتماعية

التي تسود الجزائر خلال تلك الفترة، مستخدما التحليل الأنثروبولوجي في وصف المجتمع الجزائري حيث تمثل خلاصة أفكار تجربة يمكن الاستفادة منها، في تعميق الدراسة المجتمع الجزائري .

وأود في هذه الورقة أن أعرض بعض الفرضيات والنتائج، التي توصل إليها الشيخ البشير الإبراهيمي فيما يتعلق بمكانة الدين الإسلامي واللغة العربية في حياة المجتمع الجزائري، ونستعرض بعض التحولات التي شخصها في الممارسات الدينية والشعائرية لديه . وعلى هذا الأساس جاءت الإشكالية على النحو التالي مع جملة من التساؤلات الفرعية :

الإشكالية: كيف أسهم الشيخ البشير الإبراهيمي بقراءته الأنتربولوجيا للممارسات التعبدية الدينية في تشخيص واقع المجتمع الجزائري ؟

ولمعالجة هذا السؤال سننطلق من الفرضيات التالية :

- الوسائط والأساليب التي ركز عليها الشيخ البشير الإبراهيمي في نشاطه الإصلاحي، تضع الهوية وثوابت الأمة في المقام الأول؟

- شكلت الممارسات الدينية المحلية للمجتمع الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، أدوارا محورية أخضها الشيخ البشير الإبراهيمي للمراقبة والمتابعة .

- التطبيق العملي لتصحيح المفاهيم والممارسات الدينية، يكون بتصحيح أركان العقيدة والعبادة، والمعاملة والخلق، وهي عناصر تحفظ هوية الأمة الجزائرية بمكونها الدين واللسان العربي .

المبحث الأول : أهم الوسائط والأساليب التي ركز عليها الشيخ البشير الإبراهيمي في المحافظة على ثوابت الأمة.

"ساهمت البحوث الأنثروبولوجية والاجتماعية ،التي كان المجتمع الجزائري مخبرا خصبا وحقلا مميزا لها، بعمليات الهدم وتفكيك التركيبة الاجتماعية ،ودراستها دراسات مفصلة وعميقة وتوصلت إلى نقاط قوته وضعفه، وإيجاد السبل المناسبة للتحكم في الأوضاع التي يعيشها "[1].

---

1 ابن عرفة إبراهيم ، بشيرة عالية ، قراءة في انثروبولوجيا الجزائر 1830، إلى 1962، مجلة متون كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية – جامعة مولاي الطاهر سعيدة - ، العدد02، مج 11، سبتمبر 2019،.ص74

إن تنوعت أغراض هذه البحوث إلا أنها لا تخرج من توجهين: الاتجاه العلمي واتجاه الأطماع والمصلحة الاستعمارية، وإن كان هذا الأخير هو الطابع على أغلبها إلا أن ذلك لم يعدم من وجود دراسات أجنبية بريئة، و تحليلات أخرى لعلماء ورجال الإصلاح للأوضاع السائدة في تلك الفترة، التي تأتي في سياق البحوث والكتابة في التاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمع لبعض المصلحين.

يعد الشيخ البشير الإبراهيمي أحد هؤلاء المصلحين والقامات الفكرية الواعية، بواقع المجتمع الجزائري وما آل إليه حال أفراده وسلوكياتهم في ظل الاستعمار الفرنسي، وهو الذي ترعرع وعاش كغيره من رجال جمعية العلماء أوضاع مظلمة وواقع ومريرة يسوده القمع والفقر والتجهيل، كل هذه الظروف جعلته يصف تركيبة المجتمع الجزائري وصفا دقيقا، وينظر في خصائصه ومعضلاته في مقابل ذلك يطرح السبل الكفيلة لمواجهة خطط الإدارة الاستعمارية، هذا ما تجلى لنا من خلال الأفكاره التي يناقشها والنتائج التي خلص إليها ومن ذلك قوله : الاستعمار كله رجسا من عمل الشيطان، ويمتاز الاستعمار الفرنسي بأن آثار الشيطان فيه واضحة، ومخايل الشيطان عليه لائحة، فهو يقنع بالسيطرة على الظواهر بل يتدسس إلى مكامن السرائر ليفسدها أو يبتليها بالوهن والانحراف عن سبيل الفطرة، فهو لا يهدأ له بال حتى يدخل شيطانه في العلاقة بين الناس وبين خالقهم ...يدخل في العقائد الدينية فيشوبها بشوب الشرك والضلال، ويدخل في العبادات البدنية فينصب للناس أئمة للصلاة وهم يتجسسون عليهم، ويمنع صومهم...وفي جنب ذلك يفتح الباب على مصراعيه للرذائل ومفسدات الأخلاق" .[1]

ونستنتج من ذلك أن الشيخ الإبراهيمي يؤكد على أهم وأخطر جانب يستهدفه الإستعمار الفرنسي في الجزائر ألا وهو وثوابت الأمة وعقيدتها، وقد يتساوى مع استنزاف ونهب خيرات البلاد ، على هذا الأساس فقد طرحت جمعية العلماء، جملة من الأساليب والوسائط التي تتماشى مع هذا التحدي، وفي غاية الممكن من الأمر فظهر أثرها المحمود بين أوساط المجتمع يقول: عن أحد تلك التحديات وهو الفكر الإلحادي والتغريبي إذ بفضل ما يبثه رجال جمعية العلماء من حقائق الدين ، وبما يشرحونه في دروسهم ومحاضراتهم من مطابقة للعقل واتفاقه مع قضايا العلم ومسايرته للحياة المدنية، وبما أرشدوا إليه من رعاية الأبناء والظهور أمامهم بمظهر القدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة "[2]. إذ

---

1 محمد البشير الإبراهيمي، أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي ،ط 1 بيروت 1997م،ج5 ص 187

2 المصدر نفسه ، ج 1، ص 95.

ارتكزت وسائله الإصلاحية على الحلقات الوعظ الدينية للكبار في المساجد، والدروس في الأقسام للصغار والشباب.

أم عن الدعامة التي كان التعويل عليها في تجسيد فكرة الإصلاح والحفاظ على الهوية وهم فئة الشباب زهرة الأمة وذخيرة المستقبل يقول عن ذلك: " فرجال جمعية العلماء يعلمون أنها الفئة الجديرة بكل عناية واهتمام ، وأنها سالمة من الجمود والتحريف، وأنها أقرب إلى الإصلاح والرجوع إلى الحق بما معها من إدراك صحيح وبما فيها من ملكات الاستدلال، لذلك مازجوا هذه الطائفة وخلطوها بأنفسهم وعرفوا كيف يجذبونها إلى المحاضرات والدروس الدينية، فكان لهذه الطريقة الرشيدة أثرها الصالح في تقويم زيغ الزائغين منها، وإرجاعهم إلى حضيرة الدين بكل سهولة، ونتجت عن ذلك نتيجة أخرى وهي تحبيب هذه الطائفة في اللغة العربية حتى أصبح الكثير منها معنيا بها نادما على ما فرط في جنبها، متداركا بقدر الإمكان ما فاته منها "[1] ولا يعني هذا أن الإبراهيمي قد حيد باقي فئات المجتمع من نشاطه الإصلاحي بل كان توزيع النشاط الدعوي على الأهم فالأهم .

وفي الأخير يضع أصبعه على الدواء الانجع ،الذي يجتث هذه العلل من أصلها، فهو قيام الآباء بواجبهم من التربية الدينية الصحيحة، وما دام أبناؤنا يأوون إلى بيوت قواعدها الجهل والخرافات ، وقعائدها الجاهلات الخرافيات فنحن بين حالين لا ندري أيهما "[2]، لأنهم هم القدوة والأسرة هي محضن الأخلاق منها يستمد الأبناء أساسيات دينهم ، فلا بد أن يؤخذوه من منابعه الصافية دون مسخ ولا تحريف لهذا كانت العملية التوعوية تسير على شقين فئة الشباب وهم المستقبل، والآباء وهم القاعدة التي ينطلق منها وإليها العودة، ثم العامة من الناس أي المجتمع باعتبارهم المكون الشاسع للخلية الأولى وهي الأسرة ، فقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي ينظر إلى الواقع بنظرة استشرافية، يحدد المعضلة ثم يقترح لها الحلول والوسائل للإصلاح ، فكان له امتياز فهم الواقع وقراءة مؤشراته بصورة صحيحة .

المبحث الثاني: ابراز القيم الأخلاقية والسلوكيات التي تتفرد بها تركيبة المجتمع الجزائري

المطلب الأول : شدة التمسك بالإسلام والاعتزاز بالنسبة إلية.

---

1 المصدر نفسه والصفحة

2 المصدر نفسه والصفحة

تركيبة المجتمع الجزائري وعراقة انتمائه أكسبته القوة والصلابة، وأصبحت جزء لصيقا بكيانه الروحي والمادي ومصدرا لهويته الثقافية والحضارية ، وإن سعى الاستعمار الفرنسي إلى تقديم الدين الإسلامي على أنه أهم عامل في تخلف المجتمع مع مختلف فصائل التنظيمات الدينية، إلا أن العديد من الدراسات والبحوث قد ردت هذه المزاعم، إذ كشفت أن الدين الإسلامي هو من غذى بروحانيته ومواقفه الفطرية وانغراسه في النفوس جهاز مناعة المجتمعات الإسلامية، فاستعصت بذلك على كل عمليات الطمس إبان الغزو الاستعماري ، والمجتمع الجزائري هو الآخر يعد أبرز أنموذج لتلك المجتمعات، التي تعرضت لأقسى درجات السحق والمحو الثقافي والحضاري طيلة مدة تربو على قرن من الزمان، وهي مدة كافية لتصفية جسدية وروحية لأي مجتمع وإنشائه خلقا آخر. ورغم طول المدة وقسوة استراتيجيات وأدوات البتر والإلحاق بقي هذا المجتمع، الذي جرد من كل شيء مستعصيا على الذوبان والتلاشي" [1]

وصف الشيخ البشير الإبراهيمي بلد الجزائر، بأنه من أزكى المغارس التي غرست فيها شجرة الإسلام فنمت وترعرعت[2] والمجتمع الجزائري المسلم متفرد بخلقه العريق الذي ملك عليهم إحساسهم وهو اعتزازهم باسم الإسلام والافتخار بالنسبة إليه والأنفة من الخروج من هذه النسبة والرضى بالهوان والدون في سبيل هذه النسبة [3] هذا ما أكسبته مناعة ضد الكثير من المظاهر، و أولها قلة تسرب الفكر الإلحادي بين أوساطه وهي الميزة التي خص بها الفرد الجزائري عامة، إذ عرف بشدة تمسكه وتصلبه بدينه، وإن كان جاهلا أو أمي بالإسلام، ويدعم ذلك بشواهد على رسوخ هذا الخلق في الفرد فيقول : "يمكن أن تقول لتارك الصلاة مثلا – أنت لا تصلي، فيقول لك نعم، وتعير مانع الزكاة بالشح وقبض اليد ، فيقول لك قد كان ذلك، وتقول للمبتدع: انت مبتدع، فلعله ينصف ويعترف ، ولكن إياك أن تقول لواحد من هؤلاء انت لست بمسلم ، ولو قلت لرأيت التنمر والتنكر، وسمعت الجافي المكروه من القول "[4].

---

1 الطاهر سعود ، واقع التدين في المجتمع الجزائري ، مجلة الإحياء ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، العدد 8، 1425ه-2004م، ص 444.

2 المصدر نفسه ،ج5، ص 72.

3 البشير الإبراهيمي ، أثاره ، ج 1، ص 111.

4 المصدر نفسه والصفحة

وهذا التشخيص من الشيخ الإبراهيمي ينم عن معرفة عميقة بحال المجتمع وواقعه وهو الذي عايش المجتمع الجزائري وفقه سلوكياته وممارساته. يعترف بذلك حين قال : فأزعم أنني جربت ودرست ، وأنني قرأت هذه الأمة وفهمتها كما أقرأ الكتاب وأفهمه، وما هذا ببعيد ولا كثير على من خدم أمة ولازمها عشرات السنين معلما ومدرسا واعظا وخطيبا، محاضرا ينتزع مواضيع محاضراته من وجوه الجمهور قبل أعمالهم، وقد خرجت من هذه الدراسة الطويلة بنتائج جليلة يجب أن تدون "[1]

والأكيد أن بعض خصائص هذه الأمة والميزات المتفردة بها، لم تسلم من التحول في بعض معتقدات المجتمع نتيجة السياسة الاستعمارية المقيتة، التي عايشها الفرد الجزائري كادت أن تعصف بهويته، مما أدى إلى تغير بعض المفاهيم والممارسات الدينية، هذا ما سنتناوله في العناصر التالية من هذه الدراسة.

المطلب الثاني التمسك باللسان العربي:

اعتبر الشيخ البشير الإبراهيمي اللسان العربي والدين الإسلامي، مكون رئيسي من مقومات الهوية الأصيلة للمجتمع الجزائري "إذ من الحق القول أن شعور الأمة الجزائرية وإن ظهرت آثاره في جهات حياتها المختلفة، ولكنه فوار حارا بصفة خصوصية في جهتي الدين واللسان العربي، وهما الجهتان اللتان عرفت الأمة الجزائرية بالتمسك بهما والغيرة عليهما"[2]

فاللغة العربية في الجزائر ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وهي ممتدة الجذور مع

الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل ممتدة مع الماضي، لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم ..." [3]

وبأسلوب منطقي يثبت التمسك باللغة العربية، من منطلق تلك النزعة الإسلامية حيث يعتبر من يسلم بأن البربر قد دخلوا الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفو لأنهما شيآن متلازمان حقيقة وواقعا، لا يمكن الفصل بينهما"[4] .

---

1 المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 209، 220.

2 المصدر نفسه ،ج1،ص 187

3 المصدر نفسه ، ج 3، ص206 . ونشرت كلمته في جريدة البصائر ، ع41، جوان 1948م

4 المصدر نفسه ، ص 207

فسحر هذه اللغة قد تسلط على "النفوس البربرية فأحالتها عربية، كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر، واقتناع لا يد فيه للقهر، وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار. وكذب وفجر كل من يسمى الفتح الإسلامي استعمارا " [1] ، ثم يرجع إلى فوائد هذه النزعة وما حققته من مكاسب للمجتمع فيقول : " فاللغة العربية منذ دخلت في ركاب الإسلام على الأمم التي أظلها ظله، كانت سببا في تقارب تفكيرهم وتشابه عقلياتهم وتمازج أذواقهم وتوحيد مشاربهم..."[2]

المبحث الثالث : واقع الشعائر والممارسات الدينية في المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي

المطلب الأول : الأعياد الدينية بين العادة والعبادة

من الممارسات الدينية التي تطرق إليها الشيخ البشير الإبراهيمي وحاول دراسة واقعها في المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، ظاهرة الاختلال في العبادات مفهوما وممارسة ،هذا ما أدى إلى تجرد النفوس من آثارها الجليلة، التي هي سر العبادة في حين اعتبر السياسة الاستعمارية العامل الرئيس في وصول تلك الممارسات إلى حد التهوين في النفوس والإهمال أو الترك في أحيان كثيرة، نتيجة تدخلاته في أمور الدين وما أفرزه من تجهيل وطمس للمعالم الهوية الإسلامية في الأقطار.

ومن السلوكيات التي سجلها الشيخ البشير الإبراهيمي وخاض في تفاصلها، الإحتفال بالأعياد الدينية إذ يرى أن هذه الأعياد بعد أن كانت عنوانا للانتماء الديني العقائدي للمسلم ،إلا أنه قد طالها الاختلال إذ سجل تحولها إلى ممارسات روتينية، وعادات مفرغة من معانيها الروحية وأبعادها الدينية ، رغم أن الإسلام قد أكسب هذه الممارسات مكانة عالية، وقيم جليلة ومنافع عظيمة في حياة الإنسان "فالعيد في نظر الإسلام ملتقى عواطف تتقارب، وبين طوائف كانت في أمسه تتحارب، ففيه ينزل الغني المترف ويصعد الفقير المترب فيلتقيان في عالم من عوالم المثال ...يتجلى العيد بجلاله على الغني فينسى تألهه بالمال، ويذكر أن كل من حوله إخوانه أولا وأعوانه ثانيا فيمحو اساءة عام بإحسان يوم ، ويتجلى على الفقير بجماله فينسى متاعب العام ومكاره العام وتمحو بشاشة العيد من نفسه آثار الحقد والتبرم

---

1 المصدر نفسه ، ص 206

2 المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 378.

والضيق ولا تتفتح أمام عينيه إلا الطريق الواصلة بالله المؤدية إلى الخير وتنهزم في نفسه دواعي اليأس على حين تنتصر بواعث الرجاء"[1]

ومن مكانة العيدين في الإسلام أنه قرن كل واحد منهما بشعيرة من شعائره العامة التي في نفحاتهما الخير والبر والإحسان والرحمة، ولها أثرها العميق في التربية الفردية والجماعية ، هاتان الشعيرتان هما شهر رمضان الذي جاء عيد الفطر مسك ختامه، وكلمة الشكر على تمامه، والحج الذي كان عيد الأضحى بعض أيامه، والظرف الموعي لمعظم أحكامه، وناهيك بالشعيرتين منزلة بين شعائر الإسلام. أنهما مظهر الامتحان الذي هو أساس التكليف "[2] .

وليس السر في يومه الذي يبتدئ بطلوع شمس وينتهي بغروبها، إنما السر فيما يعمر ذلك اليوم من أعمال، وما يعمره من إحسان وافضال، وما يغشى النفوس المستعدة للخير فيه من سمو وكمال"[3] وهذا ما تأكده الدراسات الأنثروبولوجيا فظاهر الاحتفال بالعيد في الأسر الجزائرية مرتبطة أيضا في أبعادها الاجتماعية والثقافية بمرجعية دينية وذلك لما يصاحب هذه الممارسة من أعمال خيرية جماعية ، فالاحتفالية فرصة للقاء والتقارب والتماسك الاجتماعي من جهة ومن جهة أخرى فرصة لإثبات الذات الجماعية وإثبات الهوية الثقافية "[4]

وهذه المعاني السامية للعيد التي سردها وذكرها الشيخ البشير الإبراهيمي هي التي كان تحقيقها في نفوس المسلمين يوم كانوا، وكان هذا اليوم من العام زاد الرحلة بآثاره ثم بانتظاره للعام كله. وبعدها يتساءل عن حال المسلمين عامة والمجتمع الجزائر بخاصة فيقول : فأين نحن اليوم من هذه الأعياد ، وأين هذه الأعياد منا ؟ وأين آثار العبادة فيها من آثار العادة ؟

"... ولنقل أن المسلمين جردوا هذه الأعياد من حليتها الدينية، وعطلوها من تلك المعاني الروحية الفوارة التي كانت تفيض على النفوس بالبهجة مع تجهم الأحداث وبالبشر مع عبوس الزمن، وأصبحوا

---

1 المرجع السابق ، ج 4، ص293

2 المصدر نفسه ،ج3، ص292

3 المصدر نفسه والصفحة

4 محمد سعدي ، العائلة عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر الظاهرة الاحتفالية بالأعياد انموذجا ، ضمن أنثروبولوجيا المجتمعات المغاربية بين الماضي والحاضر، مجلة الكترونية دفاتر إنسانية ، عدد 04

يلقون أعيادهم بهم فاترة وحس بليد وشعور بارد وأسرة عابسة وكأنها عملية تجارية تتبع الخصب والجدب وتتأثر بالعسر واليسر والنفاق والكساد، لا صبغة روحية. "[1]

فيما وقد شخص الشيخ الإبراهيمي سبب هذا التحول الذي طرأ على المجتمع، في أدائه لفروضه الدينية وشعائره التعبدية إلى تأثير العادة عليها، وهو الوتر الذي عمل عليه الاستعمار فهذه الآفة التي تتسلط على محاسن الأمور، لم يسلم منها الإسلام هو الآخر، فما تقوم به هذه الآفة من الطمس والتشويه حتى تمسخ الجمال ثم تنسخ التأثير ثم تفسخ العقد، فلا يبقى للجمال استهواء للنفوس ولا تأثير فيها ولا سلطان عليها...

تستحكم العادة في السلوك فتصبح هي الحاكمة المقبحة المحسنة المقدرة وهي صاحبة الاعتبار الأول في تقديره الحياة، تتسامى إلى المسلمات اليقينية فتمسها بالتشكيك ثم إلى الحقائق الدينية فتبتليها بالتزهيد فيها أو التبغيض، وهذا هو شر ما وصل إليه المسلمون بالنسبة إلى شعائر دينهم : تهجر العبادة بين أقوام فيصبح هجرها عادة تخشى مخالفتها والخروج عنها، ويقيمها أقوام بحكم العادة لا بحكم الدين، وآية ذلك أن فاعلها يأتي بها متبرما متثاقلا مقدرا لعتاب الناس لا لعذاب الله ، وهذا التناقض في آثار بالعادة واقع بين المسلمين مشهود مشهور .... "[2]، هكذا تعمل العادة على تهوين العبادة وإخماد تأثيرها في النفوس حتى تأتي على زوالها وتكون هي الحاكمة الموجهة لسلوك والعبادات.

المطلب الثاني : فريضة الحج

يعتبر الحج رحلة دينية تمنح الشخص فرصة للارتقاء الروحي والتأمل الذاتي لكن واقعها بين المسلمين اليوم قد جرد من معانيه إذ نجد الشيخ البشير الإبراهيمي بعد أن لاحظ الخلل الذي حصل في ممارسات المسلمين وبالتحديد في المجتمع الجزائري المسلم، استطاع أن يشخص ذلك الواقع مبرزا للسبب الرئيس في ذلك التحول فيقول : أنها على جلالتها أصبحت متأثرة بالعوائد، فلا يحفز معظم المسلمين إليها، ذلك الحافز الديني ولا تدفعهم إلى تحمل لوائها تلك الغاية السامية ، التي شرع الحج لتحقيقها، وإنما يحفز الناس إلى الافتتان الشائع بالتلقيب، كأنهم يتبرمون بأسمائهم المجردة من كثرة التبذل والاستعمال، فيسعون في إضافة لقب أو وصف كما يتهالك الخليون الفارغون على الألقاب

---

1 المصدر نفسه والصفحة ج4، ص 293.

2 *المصدر نفسه ، والصفحة*

الزائفة ويبذلون فيها الجعائل، وإن ذلك لمن هذا، وفي الأمم إذ تداعت للسقوط مشابهة من البناء إذ تداعى للانهيار[1]

المطلب الثالث: فريضة الصوم

لقد كان الصوم في العهد الأول من الإسلام تلك الممارسة التعبدية الدينية ،التي تتناغم فيها وقائع الحياة اليومية مع دواخل الحياة الروحية، لكن هذه الشعيرة قد طالها الفتور في أدائها وخلوها من مقاصدها بفعل فاعلا في بعض البلدان الإسلامية ، حيث ذهب الشيخ البشير الإبراهيمي إلى أنها خلت بين المسلمين من روحها التي تزكي وتجلب الروح والاطمئنان، وأصبحت وظيفة عادية يقوم بها القائمون تأثيرا بالعادة لا خضوع لأمر الله وامتثالا له، ويتركها المنتهكون لحرمات الله فيشيع الترك فيكون هو العادة الجارية ويكون الصوم شذوذا وخارقا للعادة، وكلا الأمرين واقع في الأقطار الإسلامية، فالمحافظة على الصوم تغلب في الجزائر مثلا اتباعا لعادة المجتمع المتشدد مع المفطرين، وهذا المجتمع المتشدد في الصوم متساهل إلى أقصى الحدود مع تاركي الصلاة، فلو كان للعادة وللشعائر الدينية سلطانها الديني على النفوس لما أفطر في رمضان أحد، ولما ترك الصلاة أحد ، ولما كان للعادة دخل في هذا المجال، ولو كان المتشددون مدفوعين بدافع ديني لكان تشددهم مع تاركي الصلاة أقوى وأشد وأولى وأوكد2.

وفي دراسة الشيخ البشير الإبراهيمي لعبادة الصوم في الجزائر يكشف عن مخطط الاستعمار في المساس به ولكون الصوم من العبادات الروحية المحضة البعيدة عن الماديات فقد شبهه الإبراهيمي بالفقير الذي ليس معه المال ما يغري اللصوص بالاعتداء عليه، إذ ليس له من الأوقاف ما يقيمه كالصلاة والمساجد، ولا يحتاج لوسيلة نقل لإقامته وأدائه ولا إلى رخصة انتقال تثير غريزة التحكم، ومع ذلك فقد ألحقه الاستعمار بسياستها مثل سابقاتها، كما تلحق الأوطان وذلك عهده إذ يعتبر الأوطان والأديان والأرواح والأبدان شيئا واحد يجب أن يخضع لجبروته ويدخل في سلطانه، ومن تدخلاته في هذه الشعيرة أنه عمد إلى ثغرة خفية وهي وظيفة الفتوى والقضاء، فكونت من رجالها فيما لجنة الأهلة فأصبحوا يتحكمون في هلال رمضان المسكين وحده ويثبتونه وهم في جحورهم ، أو يخفونه وهو في كبد السماء، إتباعا لوحي مرسوم لا يتعدونه، ثم أمدت تلك اللجنة بسلاح من القانون

---

1 المصدر نفسه ، ج 4، ص294

2 المصدر نفسه والصفحة

وهو اعتبار الأعياد الإسلامية رسمية، تعطل فيها الأعمال الحكومية والمهنية والصناعية، وما شرعت ذلك القانون حبا في الإسلام، واحتراما للمسلمين، إنما شرعته لتلجئ الموظفين والعمال المسلمين إلى اتباع رأي لجنتها في الصوم والإفطار، إذ اختلفت الآراء، وتهيئ الجزائر ولبن العالم الإسلامي ، وتحاول بسط نفوذها على تكوين إسلام جزائري، بعد أن اخفقت التجارب القديمة[1]

المبحث الثالث: أهم المسالك التي قدمها الشيخ الإبراهيمي من أجل العودة للسلوك الصحيح في الممارسات الدينية للحفاظ على ثوابت الأمة .

إن الشيخ البشير الإبراهيمي المصلح الديني والاجتماعي، بأفكاره وطروحاته يكون قد مارس عمل الأنثروبولوجي بعد دراسته للمجتمع الجزائري المسلم مبرزا لأهم خصائصه ومشيرا إلى أهم الممارسات التعبدية والمفاهيم الدينية الخاطئة لها في حياة الفرد الجزائري المسلم، وذلك من أجل تزكية وتشكيل قيم أو العودة إلى السلوكيات الاجتماعية والدينية الصحيحة. وهنا تجدر الإشارة إلى ما نبه إليه مالك بن نبي عندما قال: بأن المجتمع الجزائري والمسلم، لم يتخلى أبدا عن عقيدته، فلقد ظل مؤمنا، وبعبارة ادق ظل مؤمنا متدينا، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جاذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي، وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإجابية، وتأثيرها الاجتماعي..."[2]، ولكن السلوكيات الخاطئة وعدم الفاعلية لهذه العقيدة ولمظاهر الالتزام والتدين هو ما كان يعيشه المجتمع الجزائري . على هذا الأساس نجد منهج الشيخ البشير الإبراهيمي مركزا على جملة من النقاط يمكن إجمالها فيما يلي:

- إن اعتماد الشيخ البشير الإبراهيمي على قراءة لأنماط تفكير المجتمع والفرد الجزائري المسلم ونقاط قوته وضعفه أمكنه الخروج باستراتيجية مهمة يرتكز عليها العمل الإصلاحي عنده وهذه العوامل الأساسية هي: إحياء مجد الدين الإسلامي، وإحياء مجد اللغة العربية، والتطبيق العملي لإحياء الإسلام في القلوب يكون بتصحيح الأركان العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق فهذه العناصر الثلاث هي بمثابة رأس المال المسلم فيقول : فالشعائر الدينية هي كالربح في التجارة، لا ينتظره التاجر إلا إذ كان رأس

---

1 المصدر نفسه ، ج3، ص167

2 مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ،- مشكلات الحضارة - ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر ضمن ندوة مشكلات الحضارة ، دمشق ، ط 1، 1423ه- 2002م، ص 54 .

المال سالما ، أما رأس المال في الدين فهو تصحيح العقائد وتصحيح العبادات، وتصحيح الأخلاق الصالحة..."[1] فيما أرجع الشيخ سبب ذلك الانفلات والآفات إلى اختلال هذه العناصر فيقول : " كلكم يعلم أن هذه الأركان قد أصبحت مختلة، وأن اختلالها أوقعنا فيما ترون من مصائب وبلايا وآفات " [2]

- الوصول إلى تلك المعاني الروحية والقيم النبيلة يتأتى ببناء العبادة الخالصة على العقيدة الصحيحة والسليمة هذا ما يثمر تلك المعاني الروحية في النفس التي ترجى من العبادة، وبالتالي سلامة الممارسات الدينية من شر العوائد العادية إذ " لو كنا نعبد الله حق عبادته ونبني العبادة الخالصة على عقيدة خالصة، لكان من آثار تلك العبادة في نفوسنا ما يقيها من شرور هذه العوائد العادية"[3] .

- المنظومة الخلقية هي أساس وجود الأمم ودوام بقائها، فالأخلاق شعبة من شعب الإيمان وأي اختلال فيها تضيع من الإيمان شعبة هذا ما يجر على الأمة البلاء، فإن غلب ما يقبح على ما يحسن تخرج الفضيلة الإسلامية والأخلاق من عقل المسلم ومن نفسه وحلت محلها الرذيلة وسوء الأخلاق، ثم يكون الاختلاط بالأجانب عن الدين ومعهم عاداتهم وأخلاقهم ووجدت نفوس المسلمين عورات بلا مدافع ولا محام فتمكنت فيها ومكنت لغيرها فيكون انحلال الأخلاق وتفكك القيم [4].

- التنبيه إلى أن عامل الاستعمار هو أكبر خطر على هوية وعقيدة الأمة ، فآثار الاستعمار فينا هي التي جعلتنا سريعي التأثر بدواعي الفرقة، وقد نجح في تفريقنا في الدنيويات لأنه يملك أسبابه، فرجع إلى الدينيات يزيدنا فيها تفريقا على تفريق، فعلى الأمة أن تحذر هذه الفخاخ، وأن ترجع إلى مسألة الصوم والأعياد إلى أحكام دينها وحكمه وأن ترفع الخلاف بالرجوع إلى الحق[5] .

خاتمة:

وخلاصة من هذا البحث إن ما أورده الشيخ البشير الإبراهيمي في شأن الممارسات الدينية التعبدية في المجتمع الجزائري والتي يرى أنها قد تعرضت لتحولات اجتماعية كان للاستعمار اليد الطولى في افراغها من معانيها الحقيقية وغايتها التعبدية الخالصة التي جاءت من أجلها، والتي وضحها

---

1 البشير الإبراهيمي ، آثاره ، ج3، ص 406.

2 المصدر نفسه ، ص 133.

3 المصدر نفسه والصفحة .

4 المصدر نفسه والصفحة

5 المصدر نفسه ، ص168.

الدين الإسلامي مقصدها، فبعد أن كانت جزء من كيان الروحي والعقائدي للأمة ورمز من هويتها ، فقد طال محاسن هذه الممارسات آفة العادة، والابتذال فحولت مظاهر الاحتفال بالأعياد مجرد طقوس يؤديها الفرد برتابة بلا روح بل وجد يتحلل منها، فيما أصبح الحج لقبا للتباهي لكل من أراد أن يضيف لاسمه لقبا وأفرغ من حافزه الديني ومقصده التعبدي، وأصبح الصوم عمل روتيني مجرد من مقصد التزكية والتبتل لله ، وأضحى القيام به خوفا من المجتمع لا من الله ، في حين صار مصدر للتفريق بين المسلمين بتدخل الاستعمار.

من هذه القراءة التي قدمها الشيخ البشير الإبراهيمي نلحظ أنه كان رقيبا بأتم معنى الكلمة على هوية الأمة بمكونها الإسلام والعربية حريصا على ممارساته الدينية التي كانت مرتبطة أشد الارتباط برجال الإصلاح تقييما وتقويما كونها تعكس بوضوح مستوى الوعي والفهم لدى المجتمع والأفراد.

على هذا الأساس فإننا فيما تعلق **بالتوصيات** نقترح : في ظل عصر الانفتاح وطغيان الفكر المادي، فإننا نوصي بالتركيز على الجانب الروحي في تدريس الشعائر والممارسات الدينية التعبدية في الأطوار الأولى من التعليم كما تدرس الشكليات وتحفظ.

لبعض الشعائر الدينية مثل الأعياد والحج أهمية جليلة في ترسيخ الأفكار وتوجيه وعي الأمة، من حيث كونهما ملتقيات بين الأفراد على اختلاف الاجناس والثقافات لهذا نهيب بضرورة بيان مقاصدها الحقيقية في المجتمع . من أجل اعادة التأسيس لفهمنا للدين بعيدا عن التشويهات التي ألحقت به وأفقدته فعاليته الاجتماعية .